حكايات الخلفاء العبّاسيّين في الشّعر القصصي العماني:

ديوان الخليلي " وحي العبقريّة " نموذجا

The Tales of Abbasid Caliphs in Omani Narrative Poetry

The Poetry Collection "Wahy Al-Abqariyyah" as a Model

د: بسّام البرقاوي: قسم اللّغة العربيّة وآدابها- كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة - جامعة الشّرقيّة (سلطنة عمان).

bassem.bargaoui@asu.edu.om

د: علي الشّرجي: قسم اللّغة العربيّة وآدابها- كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة - جامعة الشّرقيّة (سلطنة عمان).

ali.alsharji@asu.edu.om

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/10/22	2024/11/30	2025/01/05

ملخّص

نهتمّ في هذه الدّراسة بتقصيّ موقف الشّاعر العماني عبد الله بن علي الخليلي، من سلوك بعض الخلفاء العبّاسيّين من خلال نماذجَ مختارةٍ من شعره القصصي الذي حواه ديوانه " وحي العبقريّة ". وممّا حفّزنا على هذا المبحث ظاهرة شعرية طريفة مدارها على محاورة النّصّ اللاّحق لنصوص سابقة جمعت بين السّرد والشعر. وقد اعتمدنا في قراءة المدوّنة المنهج الإنشائيَّ الذي قادنا إلى عدد من الملاحظات، أبرزها أنّ أسماء الأعلام التي استدعاها الشّاعر قد حضرت بوظيفتيها الإخباريّة والإيحائيّة، وأهمّها أنّ القصيدة عند الخليلي قد حاورت نصوصا سرديّة موجزة وأطالتها إطالة تدلّ في غير شكّ على قدرة في تشكيل النّصّ تشكيلا غنائيّا دراميّا، وأطرفها أن الشّاعر قد استنفر أبياتا شعريّة قليلاً عدُدها . فبنى منها مطوّلات شعريّة فيها من لذّة القصّ بقدر ما فيها من لذعة النّقد.

الكلمات المفاتيح: الشّعر العماني – الشّعر القصصيّ –التناصّ -عبد الله بن علي الخليلي - الخلفاء العباسيّون.

The Tales of Abbasid Caliphs in Omani Narrative Poetry
The Poetry Collection "Wahy Al-Abqariyyah" as a Model

Abstract:

This study aims to investigate the Omani poet Abdullah bin Ali Al-Khalili's stance on the conduct of certain Abbasid caliphs, as reflected in selected narrative poems from his collection Wahy Al-Abqariyyah (The Genius's Inspiration). What motivated this research is a unique poetic phenomenon focused on how later texts engage with earlier ones, blending narrative and poetry. We employed the structuralist approach to analyze the text, which led to several key observations. The most notable finding is that the proper names invoked by the poet serve both informative and symbolic functions. Another significant point is that Al-Khalili's poems engage with concise narrative texts, expanding them into more elaborate forms, thus demonstrating his ability to craft lyrical and dramatic texts. Intriguingly, the poet isolates a limited number of verses and transforms them into lengthy poetic compositions, offering both the pleasure of storytelling and the sharpness of critique.

Keywords: Omani poetry – Narrative poetry – Intertextuality – Abdullah bin Ali Al-Khalili – Abbasid caliphs.

المقدّمة

خصّص الشّاعر العماني عبد الله بن علي الخليلي (1922- 2000) [1]الفصل الحادي عشر من ديوانه "وحي العبقريّة" [2] للشّعر القصصيّ. وفيه بعث عددا من قصص الخلفاء العباسيّين والملوك الغابرين. والنّاظر في القصائد التي وردت في الدّيوان وعددها خمسَ عشْرةَ قصيدة، يلاحظ أنّ الشّاعر كثيرا ما يمّم نحو القصور العبّاسيّة يكشف ما دار في أخبيتها بين الخلفاء والجواري والشّعراء النّدماء. فهو قد حدّثنا عن "الخيزران والرّشيد". وروى لنا بعضا "من ملح الرّشيد" و"طرائف المأمون". وقصّ علينا حكاية "المأمون والجارية". وسار بنا "على بيتي المأمون".

وما كنّا لنوليَ وجهنا شطر هذا الموضوع لو لم نجد الشّعر القصصيَّ في تجربة الخليلي الشّعريّة لا تخلو من طرافة في أشكالها الفنيّة ومرجعيّاتها التّاريخيّة ومضامينها الشّعريّة التي تكشف عن صور من صور توظيف التّراث في تجربة هذا الشّاعر. وبدا لنا أنّ هذه النّصوص لم تنل حظّها من العناية التي تبرز طرافتها. فلقد تبيّن ونحن نقلّب النّظر في بعض الدّراسات التي اهتمّت بتجربة الخليلي الشّعريّة، أنّها على وفرتها نسبيّا لم تتوقّف عند هذا اللّون الشّعريّ طويلا. بل أقصى ما وجدناه في حدود ما بحثنا، ملاحظات سريعة تشير إلى ظاهرة الشّعر القصصيّ في ومضات سريعة لا تغني الباحث عن العودة إلى تدبّر الطّرائق التي بها وظّف الخليليّ تراث الخلفاء العباسيّين في شعره القصصيّ.

الدّراسات السّابقة

خصّص سعيد بن سالم النّعماني ثلاث صفحات في مقدّمة تحقيقه لشعر الخليلي القصصيّ. وأشار خاصّة إلى القصائد التي عرضت لعهد الخلافة الرّاشدة.[3] واهتمّ محمّد بن مسلم المهري في كتابه "تطوّر الشّعر العماني المعاصر في النّصف الثّاني للقرن العشرين" بظاهرة الشّعر القصصيّ في ديوان هذا الشّاعر. وقد استهلّ القسم الذي انصرف فيه إلى دراسة هذه الظّاهرة الشّعريّة قائلا "إذا تتبّعنا الشّعر القصصيّ التّاريخيّ فإنّنا سنجد الشّاعر عبد الله الخليليّ يحتلّ المركز المتقدّم من بين شعراء عمان، إذْ يطالعنا في ديوانه بقسم كبير يطلق عليه " الشّعر القصصيّ". وهو يشغل أكثر من خمسين صفحة".[4] ثمّ أشار إلى مرجعيّاته الأسطوريّة والتّاريخيّة والاجتماعيّة والرّومانسيّة.[5] وعقّب بتحليل نماذجَ نصيّةٍ تحليلا سريعا لم يشمل القصائد ذات المرجعيّة التّاريخيّة- أي القصائد التي ستكون مدار اهتمامنا- ثمّ ختم بجملة من الاستنتاجات. فرأى مثلا أنّ ما " يحسب للشّاعر أنّه أرسى دعائم الشّكل القصصيّ في الأدب أو الشّعر العمانيّ، ويعدّ بذلك رائدا من روّاده، وأنّه حمّل قصصه القدرة على استيعاب المواقف الدّراميّة وتنوّع الأصوات، وأنّه قدّم التّراث في صورة عصريّة".[6]

ولن يكون من غاياتنا في قراءة هذه النّصوص قراءة إنشائيّة تتبّع مقوّمات الفنّ القصصيّ، ولا تقصيّ جدل الشّعريّ والسّرديّ فيها- وهي غايات على قدر من الأهميّة في ما نقدّر- وإنّما يهمّنا أن نقف على الطّرائق الفنيّة التي حاور بها الخليلي تراثا سرديّا شعريّا ارتبط ببعض خلفاء الدّولة العباسيّة. واعتبرنا أنّ تخصيص ثلاثة محاورَ للبحث كفيل بأن يقودنا إلى تبيّن تلك الطّرائق. نهتمّ في المحور الأوّل بالاسم العلم في تردّده بين الإخبار والإيحاء ودوره في الكشف عن موقف الشّاعر من هارون الرّشيد وابنه المأمون. وننشغل في المحور الثّاني بتوظيف النّصّ السّرديّ في الشّعر القصصي تقصيّا للثّابت والمتحوّل، والمؤتلف والمختلف. ونبحث في المحور الأخير طبيعة المحاورات مع النّصّ الشّعريّ القديم ووظائفها.

الإشكاليّة

يندرج بحثنا في باب المعارضة الشّعرية باعتبارها شكلا من أشكال التّناص . وإذا سلّمنا بأنّ " المعارضة الشّعريّة لا تقف عند حدود التّشابه التآم مع مكونات التّراث الأدبيّ السّابق بل تتجاوز ذلك إلى تحقيق الاختلاف والتّحويل ، على نحو يؤكّد مكوّنات الذّاكرة الفنيّة العربيّة وتفاعل قديمها مع حديثها ، وسابقها مع لاحقها " [7] حاولنا في هذا العمل أن نقف على الطّرائق الفنّية التي حاور بها الخليلي تراثا سرديّا شعريّا ارتبط ببعض خلفاء الدّولة العبّاسيّة. وإنّ من شأن هذا التّدقيق في تبيّن علاقات نصّ الخليلي بنصوص عربيّة قديمة من أدب الأخبار والتّراث السّردي والشّعريّ العربيّ، وأساليب استدعاء النّص الشّعريّ اللاّحق لنصوص سرديّة سابقة، وأشكال الحوار والتّحويل أن تمكّننا من الإسهام في دراسة السرديّة التي تميّز قسما من مدوّنة الشّاعر العُماني عبد الله بن علي الخليلي. ولعلّ دراستنا تسمح أيضا بالإسهام في دراسة السّرديّة في الشّعر العربي الحديث والمعاصر من خلال الكشف عن بعض أسرارها، ونعني تلك المتولّدة من حوار النّص الشّعري مع ضروب من السّرد التّراثي. فالدّراسة التّناصّية، إذ تسعى إلى الكشف عن العلاقات بين النّصوص، سواء أكانت صريحة أو خفيّة، يمكن أن تسمح بإضاءة أسرار التّشكّل والأدبيّة.

ولفكّ مغالق هذه الإشكاليّة سنتّخذ ثلاث قصائد مدونّة لعملنا عنوان الأولى "الخيزران والرّشيد". وقد اتّكأ فيها على موروث سرديّ شعريّ مداره على حكاية الجارية التي رآها هارون الرّشيد تغتسل. فطلب من بعض الشّعراء أن يقولوا شعرا في الحادثة. فقالوا. ففضّل بعضهم على بعض تفضيلا. وعنوان الثّانية "من ملح الرّشيد" وفيها استنفر أيضا تراثا سرديّا شعريّا تعلّق بجارية علقها الرّشيد وحدث أن هجرها. ثمّ التقى بها وقد تعتعها السّكر. فطلب وصالها. فوعدته ثمّ أخلفت. وأمّا القصيدة الثّالثة فعنوانها "المأمون والجارية". وقد استوحاها الخليلي كذلك من نصّ قصصيّ تخلّله الشّعر. وفيه سرد لحكاية المأمون حين راود جارية أبيه عن نفسها.

1 - الاسم العلم: خلفاء وجوارٍ وشعراء ومغنّون

للاسم العلم[8] في المدوّنة التي ندرسها منزلة وأيّة منزلة هي. فهو يظهر في العتبات ويشيع في أعطاف النّصّ وثناياه، بل عليه مدار القول أوّلا وأخيرا. ذلك أنّ النصوص التي ندرسها أخبار عشّاق. " ولعلّه من المهمّ بمكان أن نذكّر بأنّ أخبار العشّاق نهضت في قسم كبير منها، بل في قسمها الأبعد صدى على شخصيّة العاشق الشّاعر".[9] وفي الحقيقة لا تقتصر

هذه الأهمّية على موقعه من النّصّ وتواتره فحسبُ، بل تستمدّها من المرجعيّات التّاريخيّة ومن اختلاف الرّواة والدّارسين في " حقيقة" هذه الشّخصيّات، ولا سيما شخصيّة هارون الرّشيد.

وإذا سلّمنا بما ذهب إليه محمّد الهادي الطّرابلسيّ من أنّ الأسماء الأعلام في النّصّ الأدبيّ تحضر بصورتين:" فإذا ذكرت لذاتها كانت مواد إخبار. وإذا ذكرت لصفاتها أي إذا وظّفت لما توحي به من قيم واتّخذت مثلا كانت حينئذ مواد إيحاء"،[10] قلنا إنّ بين غايتنا في هذا القسم من البحث أن نبيّن إن كانت الشّخصيّات التي استدعاها عبد الله بن علي الخليلي شخصّيات إخبار أم شخصّيات إيحاء.

يمكن أن نميّز في النّصوص التي نشتغل بها بين شخصيّات رئيسة تهيمن على النّصوص وتتجلّى في العنوانات وشخصيّات ثانويّة – أو قل هي شخصيّات مكمّلة، وظهورها مقترن بظهور الشّخصيّات الرّئيسة - تتجلّى في المتون. والشّخصيات الرّئيسة التي تصدرّت العنوانات حسب تسلسلها في القصائد تمثّلت في الخيزران والرّشيد والموصلي والمأمون والجارية. أمّا الشّخصيّات المكمّلة فجسّدها ثلاثة شعراء أبو نواس والرّقاشي ومصعب البصري، فضلا عن بعض الجواري.

تصدّرت قصيدة "الخيزران والرّشيد" الفصل الذي خصّصه عبد الله بن علي الخليليّ للشّعر القصصيّ. وهذا العنوان في الحقيقة مخادع مضلّل. فقد يذهب في خلد المطّلع على تاريخ الخليفة العّباسيّ هارون الرّشيد أنّ الخيزران هي أمّ الرّشيد. وما يقوّي هذا الاعتقاد ما حدّثت به المصادر القديمة عن الدّور الخطير الذي قامت به هذه المرأة في تاريخ الخلافة العباسيّة. فقد كانت" متبسّطة في دولة المهديّ تأمر وتنهي، وتشفع وتُبرم وتُنقض، والمواكب تروح وتغدو إلى بابها".[11] و" كانت المستولية على أمر الرّشيد وتدبير الخلافة إلى أن هلكت".[12] وقال عنها المسعودي (ت 346 هـ) في كتابه "مروج الذّهب": "كانت المواكبُ لا تنفضّ عن بابها، ففي ذلك يقول الشّاعر[من الكامل] :

يَا خيزُرانُ هَناكَ ثمّ هَنَاكَ إنَّ العِبَادَ يسُوسُهم ابناكِ".[13]

ولكن ما إن يجاوز القارئ العنوان ويقرأ الطّالع [من الوافر] :

سَلاها قَبْلَ هَيْمَنَةِ المَسَاءِ أَكَانِت والحَبِيبُ عَلَى جَفَاءِ

حتّى يتبدّد ما قد يكون تبادر إلى ذهنه، إذ ليست العلاقة بين الاسمَيْن علاقة أمومة وبنوّة. بل هي حبّ وعشق. فالخيزران احدى جواري هارون الرّشيد وإن كانت الخيزران أمّه جارية أيضا.

وليست شخصيّة هارون الرّشيد بأقلّ إثارة للسّامع من شخصيّة الخيزران، وإن لم يكن الباعث على ذلك تشابها في الأسماء. بل السّبب تقابل الصّور والأخبار الدّائرة حول هذا الخليفة في المصادر القديمة. فالرّشيد يحضر في هذا النّص بمرجعيّته الواقعيّة التّاريخيّة التي تثبت أنّه خامس خلفاء بني العبّاس تقّلد الحكم من سنة 170إلى سنة 193 هجريّا تاريخ وفاته. وهي مرجعيّة قال فيها الأدباء والمؤرّخون القدامى والمعاصرون واختلفوا اختلافا بيّنا. فالرّشيد في بعض المصادر" من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حجّ وجهاد، وغزو وشجاعة، ورأي".[14] وهو في مصادر أخرى ميّال للهو

والغناء والجواري حتّى أنّ ابن كثيّر (ت 703 هـ) يذكر "أنّه كان في دار الرّشيد من الجواري والحظايا وخدمهنّ وخدم زوجته وأخواته أربعة آلاف جارية".[15]

وعن هذا التّضارب كتب أحمد أمين يقول: " فهناك فرق كبير بين صورة الرّشيد التي يمثّلها المؤرّخون أمثال: الطّبري وابن خلدون وأبي يوسف — في الخراج — وصورته التي يصوّرها ألف ليلة وليلة، والأغاني، وإعلام النّاس في ما وقع للبرامكة مع بني العبّاس ... إلخ. فصورة المؤرّخين تصوّر الرّشيد رجل جدّ فيه شيء من اللّهو، والكتب الأخيرة تمثّله رجل لهو فيه شيء من الجدّ".[16] وقد لا يخفى أنّ عبد الله بن علي الخليلي قد انتصر في نصوصه الشّعريّة المتّصلة بهارون الرّشيد لِكتب الأدب التي تعلي من جوانب اللّهو والغناء والمجون في حياة هذا الخليفة ولم ينتصر لكتب التّاريخ التي تصوّر الرّشيد تقيّا ورعا.

وممّا يؤكّد هذا الموقف انتقاؤه للأخبار التي تصوّر الرّشيد في مجالس لهو مع بعض الشّعراء والمغنّين، وصياغتها في قصص شعريّة. ونحن قد لا نحتاج في هذا المقام إلى التّبسّط في الصّورة التي رسمت لهؤلاء الشّعراء في كتب الأخبار. وحسبنا أن نذكر بإيجاز أنّ بعض المصنّفات أخرجت أبا نواس نموذج التهتّك والخلاعة والمجون حتّى أنّ ابن الاعرابيّ (ت 231 هـ) كان يقول " لولا أنّ أبا نواس وضع نفسه بهذه الأدناس والأرفاث لاستشهدت بشعره ولاحتججت به".[17] وترجم ابن المعتّز (ت 296هـ) للشّاعر العبّاسي الرّقاشي(ت 200هـ) فقال " الرّقاشي كثير الشّعر، قليل الجيّد، وكان منقطعا إلى البرامكة يمدحهم ويعيش بهم (...) وللرّقاشي أرجوزة يأمر فيها بما حرّم الله من اللّواط وشرب الخمر والقمار والهواش" [18]. وقال الأصفهاني "إنّه كان من العجم من أهل الرّي، ومدح الرّشيد وأجازه ".[19] وقال عنه الذّهبي "الفضل بن عبد الصّمد الرّقاشي من فحول الشّعراء، مدح الخلفاء والكبار، وكان بينه وبين أبي نواس مهاجاة ومباسطات"[20] وقال المرزباني(ت 384 هـ) عن مصعب بن الحسين البصري(ت 250 هـ) المشهور بمصعب الماجن إنّه استفرغ شعره في وصف الغلمان. وأورد نبذا منه.[21]وإذا تركنا عنوان القصيدة الأولى وجدنا اسم هارون الرّشيد يوشّح عنوان القصيدة الثّانية " من ملح الرّشيد".[22] ونجده فيها يراود جارية سكرى عن نفسها طالبا وصالها بعد أن هجرها لزمن غير قليل.

وتلي شخصيّةَ هارون الرّشيد شخصيّةُ إسحاق الموصلي (767- 850 هـ). وهذ الرّجل غلب عليه فنّ الغناء حتّى اشتهر به. وممّا يروى عنه قوله "مدار الدّنيا على أربع: البناء، والنّساء والطّلاء والغناء. "[23] قال عنه الأصفهاني "كان الغناء أصغر علوم إسحاق وأدنى ما يوسم به، وإن كان الغالب عليه وعلى ما يحسنه. هو الذي صحّح أجناس الغناء".[24] وقال عنه المأمون: «لولا اشتهار إسحاق بالغناء لَوَلّيتُه القضاء، لما أعلم من عفّته ونزاهته وأمانته».[25]" وبلغ الموصلي ذروته في

عهد الرّشيد. "فقد كان الرّشيد أحبّ للموصلي، وأحبّ لغنائه فقرّبَه إليه، وجعله زينة مجلسه، وصار يتكسّب من الرّشيد، ومن مدرسة أخرى اهتدى إليها، وهو أنّه كان يأتي بالفتيات الجميلات فيعلمهنّ التّلحين، ويعلمهن الغناء، وأقبل النّاس على تلميذات مدرسته إقبالًا شديدا؛ إذ كان قد اجتمع لهن جمال الشّكل، وجمال التّلحين، وجمال الصّوت."[26] ولم يقتصر حضور هذه الشّخصيّة على هذا النّصّ، بل نجد له ذكرا أيضا في قصيدة " من طرائف المأمون" [27]

وننهي تتبّعنا لأسماء الأعلام بالمأمون (198- 218 هـ) سابع خلفاء بني العبّاس. وقد تجلّى اسمه في ثلاث قصائدَ "على بيتي المأمون" و" من طرائف المأمون" و "المأمون والجارية".[28] ونجد هذا الخليفة في القصيدة الأولى تائها " بين الظّلم والظّلم" خاضعا لطلب جارية دعته أن يقول شعرا فلبّى النّداء قائلا[من المتقارب] :

فؤادي كَتومٌ لأسرارِكُــمْ ودمعِي نَمــومٌ لسريّ مُذيــعْ
فلولا دُموعِي كَتمتُ الهَوى ولولاَ الهَوى لمْ يكنْ لي دُمُوعْ[29]

ونلقاه في القصيدة الثّانية في مجلس خمريّ رفقة إسحاق الموصلي. ونراه في القصيدة الثّالثة يراود جارية أبيه وهي تصبّ عَلَى يد الرّشيد من إبريق معها.

على الإجمال هذه بعض الملاحظات المتعلّقة بأسماء الأعلام التي رشحت في العنوانات. ولا ريبَ في أنّ للتّركيز على الخليفتيْن هارون الرّشيد وابنه المأمون واستحضار بعض الرّوايات الرّائجة عنهما له ما يبّرره. وذلك أنّ" الاسم العلم يوظّف في النّصّ الأدبيّ بأساليب مختلفة تجعله يتجاوز وظيفة التّعيين وتخرجه من مجال الاعتباط إلى مجال التّبرير ومن الاستقلال بالنّفس في الدّلالة إلى دلالات يساهم التّركيب والسّياق في بلورتها". [30]

ويهمّنا في هذا المقام أن نشير إلى مسألتين بارزتين: الأولى تتعلّق بظاهرة الإخبار والإيحاء. وتتّصل الثّانية بموقف الخليلي من هذه الأسماء. ومن ثمّ موقفه من الخلافة العباسّية التي يعدّ الرّشيد والمأمون من أهمّ خلفائها. أمّا عن الإخبار والإيحاء، فلعلّنا لا نجانب الصّواب حين نذهب إلى أنّ الشّخصيّات السّالف ذكرها، قد حضرت بدلالتيْها الإخباريّة والإيحائيّة. فالخليلي لم يخرج في ذكره لها عمّا استقرّ في كتب الأدب. ولكنّه في المقابل لم يقتصر على ذكرها على النّحو الذي تسمّى به. بل تصرّف فيها أحيانا تصرّف العارف بأنّ " التّنويع " على الاسم و" تحريفه" بالزّيادة أو النّقصان أو التّشقيق حتّى يخرج عن دلالاته الإخباريّة ضرورة يقتضيها الشّعر.

ومن مظاهر التّنويع التي اعتمدها الخليلي" استعمال اسم العلم بالتّصرف في بنيته"[31]. ففي قصيدة " المأمون والجارية" قال معاتبا الخليفة المأمون عتاب احتجاج وانتصاف: [المجتث]

يَا ابنَ الرّشيدِ رشادًا وأنْــتَ بين يديــهِ
ألستَ مأمونَ عرشٍ كالبدْر في طلعتيــْهِ
ففيمَ تصبــحُ عــبدًا للــحُبِّ في دولتيــهِ
يدعّك الشّوق دعّا والــذّلُ من جانبيــهِ[32]

فهو قد عمد الشّاعر إلى اسم المأمون (يا ابن الرّشيدِ رشادا - ألست مأمون عرش) يولّد منه معانيَ الرّشد والأمانة، داعيا إيّاه أن يكفّ عن التّمادي في غيّه وضلاله. وذلك أنّ" اللّعب على الدّال العلمي مفض إلى لعب على المعنى/ المدلول ".[33] أمّا في قصيدة" على بيتي المأمون" [34] فقد جنح إلى إيراد اسم المأمون في تركيب إضافيّ " مأمونها. وحين "يضاف اسم العلم إلى معرفة تفقد الإضافة طاقتها الأصليّة في التّعبير عن التّعريف، وتكتسب طاقات جديدة للتّعبير عن معان دقيقة أخرى" - [35] . ولعلّ في ذلك إمعانا في الدّلالة على خضوع الخليفة لجاريته: [المتقارب]

ترامـــــتْ تغنـّي بمأمونِـها فهامَ الأصـــمُّ بها والسّميعْ
جـــلته بألحـــانها شـَــاعراً وألقته في مهرجان الجـموعْ
وقالت له صف حياةَ المُلوك وارفع عقيرة عــ ـال رفيعْ
فقال ولكـن حيـــاة الغرا م سماء النّـبوغ وأفق اللّموعْ
وطار يغـرّدُ بين الغصون يرجّع أنغامــه كالخـليعْ

ثم يأتي موقف الشّاعر من الخليفة صريحا لا موارية فيه ولا لبس: [المتقارب]

فأنتَ تقودُ المُـلوكَ الكبـا ر وتنقاد للعيـنِ قودَ الضّـروعْ
تظلّ على العرشِ ملكاً يطا ع وتُمْسي على العُشّ عبدا يطيعْ

ولا ريب في أنّ الشّاهدين السّابقين يدلاّن على أنّ الشاعر استطاع أن يحوّل الاسم من دائرة الإخبار إلى دائرة الإيحاء. فقد " يرد اسم العلم مضاعف الشّحن(...) أي دالاّ بأشكال يرد عليها بصرف النّظر عن دوره الأول أهو الإخبار أم الإيحاء. بهذه الأشكال يستغلّ الشّاعر طاقات دلاليّة جديدة في هذا الاسم" [36]

ومجمل القول إنّ استدعاء أسماء شخصيّات اشتهرت بإغراقها في الملذّات، إنّما يعكس موقف الشّاعر الرّافض لسلوك الخلفاء العباسيّين. وهو سلوك تبسّطت فيه بعض كتب الأدب القديمة حتّى أخرجت بعض الخلفاء مستهترين يطلبون اللّذة حيثما وجدوها. ولعلّ في تفاصيل الأخبار التي سنجدها في القسم الثّاني من عملنا ما سيرسّخ الصّورة " السّلبيّة " التي رسمتها تلك المصادر في كلامها على بعض خلفاء بني العبّاس.

2 - القصة الشّعرية: تشعير حكايا العشق والخمر والوصال

وظف الشّاعر عبد الله علي الخليلي في ديوانه "وحي العبقريّة" تراثا حكائيّا مطيّته في ذلك المعارضة. و"الحكاية من أقدم ما كتب العرب نثرا والمعارضة من أقدم ما سنّ الشّعراء العرب".[37] وننشغل في هذا القسم الثّاني من عملنا بالمقاطع الشّعريّة التي حوّلت النّصّ القصصيَّ السّرديَّ إلى نصّ شعريّ قصصيّ. وهو ما قصدناه بمصطلح "تشعير"[38]. ولا يعنينا في هذا المقام – مثلما ذكرنا في المقدّمة - أن نبحث في مكوّنات القصّة الشّعريّة بقدر ما يعنينا أن نتبيّن الآليّة

التي استرفد بها الخليلي التّراث الإخباريّ لإنشاء نصّ شعريّ. وهي آليّة ينطبق عليها إلى حدّ ما مصطلح" الإحالة " أو " التّلميح الذي عرّفه ابن رشيق قائلا: " ومن التّضمين ما يحيل الشّاعر فيه إحالة، ويشير به إشارة، فيأتي به كأنّه نظم الأخبار أو شبيه به".[39] وقد رأينا أنّ تبيّن تلك الطّرائق وخاصّة تبيّن مظاهر" الخرق" على حدّ عبارة فتحي النّصري [40] يقتضي منّا في ما يقتضي أن نثبت جداول نقارن فيها بين النّصّ المهاجر والنّصّ المهاجر إليه .

القصيدة الأولى: "الخيزران والرّشيد"

تتألّف هذه القصيدة من خمسين بيتا على بحر الوافر. وقد جعلها صاحبها أحد عشر مقطعا. وهي إعادة إنتاج لنصّ قصصيّ شعريّ عنون في بعض المصادر القديمة بـ" الرّشيد وجارية الخيزران".[41] ومداره على الأسباب التي دعت أبا نواس إلى إنشاء قصيدة " المغتسلة".[42] وطالعها [من الوافر] :

نَضَت عَنها القَميصَ لِصَبِّ ماءٍ فَوَرَّدَ وَجهَها فُرطُ الحَياءِ

فقد جاء في كتب الأخبار أنّ" الرّشيد دخل يوما قبل وقت الظّهر، في مقصورة جارية تسمّى الخيزران على غفلة منها، فوجدها تغتسل، فلمّا رأته تجلّلت بشعرها حتّى لم ير من جسدها شيئا، فأعجبه ذلك الفعل واستحسنه، ثم عاد إلى مجلسه وقال: من بالباب من الشّعراء؟ قالوا له: أبو نواس وبشّار. قال: ليحضرا جميعا. فأحضرا، فقال الرّشيد ليقل كلّ منكما أبياتا توافق ما في نفسي، فأنشأ بشّار يقول[الطّويل] :

تحبّبتكم والقَلبُ صار إليكمُ بنفسي ذاك المنزل المتحبّبِ

(...) قال: أحسنت، ولكن ما أصبت ما في نفسي، فقل أنت يا أبا نواس، فجعل يقول[من الوافر] :

نَضَت عَنها القَميصَ لِصَبِّ ماءٍ فَوَرَّدَ وَجهَها فُرطُ الحَياءِ

(...) فقال الرّشيد: سيفا ونطعا. فقال له: ولم؟ يا أمير المؤمنين، قال: أمعنا كنت؟ قال: لا والله، ولكن شيء خطر ببالي. فأمر له بأربعة آلاف درهم وصرفه.[43]

إذا نظرنا إلى قصيدة الخليلي " الخيزران والرّشيد" على هدي الخبر السّابق لرصد الثّابت والمتحوّل والمتشابه والمختلف بين السّرد والشّعر، جاز لنا أن نبديَ بعض الملاحظات. ونلخّصها في ثنائيتين بارزتين. أمّا الملاحظة الأولى فمدارها على القبض والبسط. فالخبر كان موجزا نسبيّا - وحتّى النّصّ الشّعريّ الذي تخلّله كان مقطوعة لم تتجاوز سبعة أبيات- إذ يمكن تقسيمه إلى قسميْن: قسم يصوّر حدث الاغتسال، وقسم ينقل محاورة الرّشيد مع الشّعراء لوصف هذا الحدث، بينما جنح الخليلي إلى إطالة النّصّ الشّعريّ الواصف لحدث الاغتسال ولما دار بين الرّشيد والشّعراء بعد هذا الحدث. وهو إلى ذلك، لم يستهلَّ قصيدته بسرد حادثة الجارية وهي تغتسل. بل مهّد بستّة مقاطعَ شعريّةٍ كاملة فيها كشف حالة الرّشيد الذي تيّمه العشق وطوّح به الغرام. فكرّر في المقطع الأوّل فعل " سلاها" أربع مرّات. ثمّ صوّر في المقاطع التّالية ما يعانيه الخليفة من آلام بسبب الهجر، حتّى كأنه يروم شد انتباه السّامع إلى القصّة الشّعريّة التي سيشرع في سردها بداية من المقطع السّابع إلى نهاية القصيدة مخصّصا المقطع العاشر لتضمين القصيدة التي نظمها أبو نواس.

وأمّا الملاحظة الثّانية فمدارها على المشتبه والمختلف. ويبدو المشتبه غالبا على المختلف. ذلك أنّ الاختلاف قد اقتصر على تغيير شخصية بشّار بن برد بشخصيّة الرّقاشي. ففي النّصّ الإخباريّ نقرأ" وقال: من بالباب من الشّعراء؟ قالوا له: أبو نوّاس وبشّار. قال: ليحضرا جميعا. فأحضرا، فقال الرّشيد ليقل كلّ منكما أبياتاً توافق ما في نفسي، فأنشأ بشّار يقول[من الطّويل] :

تحببتكم والقلب صار إليكمُ بنفسي ذاك المنزل المتحبب"

أما في النّصّ الشّعريّ فنقرأ [من الوافر] :

ينادي مَنْ مِنَ الشّعرا ببــابي عليّ بهم لــحسن الابتلاءِ
فجاء أبــُو نواس والرّقاشي يجــرّان الرّداء إلى الرّجـاءِ[44]

أمّا علامات الائتلاف فمدارها على أنّ الخليلي قد ردّد شعرا كلمات بعينها وردت في النّصّ الإخباريّ. ومن ذلك أنّه أتى بقول الرّشيد " سيفا ونطعا" قائلا[من الوافر] :

فقال له الرّشيد قُتلت سيفًا ونطعا فهو من حسن الجزاءِ

ونراه أيضا يأتي بمفردات قريبة من المفردات التي وردت في الخبر. وتوضيحا لذلك نثبت الجدول التّالي:

النّصّ المهاجر	النّصّ المهاجر إليه
– على غفلة منها.	– أتى فيها الحبيب بغير وعد.
– تغتسل.	– أعدت شــأنها للغسـل.
– تجلّلت بشعرها.	– وأرسلت الضـفائر حالكات.
– حتّى لم ير من جسدها شيئاً.	– تصون الحسن عن غمزات راء.

ب - القصيدة الثّانية: " من ملح الرّشيد"

القصيدة على بحر الوافر، عدد أبياتها ستّة وستّون، وعدد مقاطعها ثلاثة عشر. استوحى الخليلي هذه القصيدة من خبر تخلّله ثلاثة مقاطعَ شعريّة. وقد عنون في بعض المؤلّفات القديمة بـ" هارون والجارية السّكرى". ونصّه " يحكى أنّ هارون الرّشيد هجر جارية له. ثم لقيها في بعض اللّيالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خزّ، وهي تسحب أذيالها من التّيه والعجب، وسقط رداؤها عن منكبيها، والرّيح أبان نهديها كأنّهما رمّانتان، ولها ردفان ثقيلان. فراودها عن نفسها، فقالت: يا أمير المؤمنين! هجرتني هذه المدّة. وليس لي علم بملاقاتك. فأنظرني إلى غد حتّى أتهيّأ وآتيك. فلمّا أصبح قال للحاجب :لا تدع أحدا يدخل عليّ إلاّ فلانة، وانتظرها فلم تجئ. فقام. ودخل عليها. وسألها إنجاز الموعد فقالت :يا أميرَ المؤمنين، كلام اللّيل يمحوه النّهار. فقام واستدعى من بالباب من الشّعراء. فدخل عليه أبو نواس والرّقاشي وأبو مصعب فقال لهم :هاتوا علي، كلام اللّيل يمحوه النّهار. فقال الرّقاشي :أنا قائل في ذلك ثلاثة أبيات، وأنشأ يقول[من الوافر] :

أتسلوها، وقلبُكَ مُستطارُ وقد مُنعَ القَرارُ فلا قَرارُ
وقد تَرَكَتْكَ صَبًّا مستهامًا فتاةٌ لا تَزورُ ولا تُــزارُ

فولّت وانثنت تيهًا، وقالت كلامُ اللّيلِ يَمحوهُ النّهارُ

وقال أبو مصعب: وأنا قائل في ذلك ثلاثة أبيات، وأنشأ يقول [من الوافر] :

أما والله لو تجدينَ وجدي لما وسعتك في بـغداد دارُ
أما يكفيكِ أنّ العينَ عبرى ومن ذكراكِ في الأحشاءِ نارُ
تبسّمت الفتاةُ بغير ضحك كلامُ اللّيلِ يَمْحُــوهُ النّهارُ

وقال أبو نوّاس :أنا قائل في ذلك أربعة أبيات، وأنشأ يقول [من الوافر] :

وَخُودٍ أَقبلَتْ في القَصرِ سَكرى ولكن زَيَّنَ السُّكرَ الوَقارُ
وهـزّ الرّيــح أردافًا ثقــالاً وغصنا فيه رمـانٌ صـغار
وقد سَقَطَ الرِّدا عن منكبيها من التَّجميشِ وانْحَلَّ الإزارُ
فقلتُ الوَعدَ سيدتي فقالت، كلامُ الليلِ يَمحُوهُ النَّهـارُ

فقال الرّشيد: قاتلك الله كأنّك كنت معنا أو مطلعا علينا. وأمر لكلّ بخلعة سنيّة وخمسة آلاف درهم، ولأبي نواس بعشرة آلاف درهم.[45]

إذا قارنا بين النّصّ الإخباريّ والنّصّ الشّعريّ ألفينا تطابقا إلى حدّ قد لا نبالغ إذا قلنا إنّ عبد الله الخليلي لم يفرّط في الحكاية القديمة من شيء مثلما يظهر في الجدول التّالي:

النّص المهاجر	النّص المهاجر إليه
– يحكى أنّ هارون الرشيد هجر جارية له.	– هجرت بدون ما ذنب سريري.
– ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرى.	– وخودٍ أقبلت في القصر سكرى.
– وسقط رداؤها عن منكبيها.	– سقط الردا عن منكبيها
– والرّيح أبان نهديها كأنّهما رمانتان	– وغصنا فيه رمان صغار
– لها ردفان ثقيلان.	– وهزّ الريّح أردافا ثقالا .
– فراودها عن نفسها.	– فقال لها هلمّ إلى نطاق تصاغرُ حوله همم كبار.
– وليس لي علم بملاقاتك.	– أتفجؤني ولا استعداد عندي.
– فلما أصبح قال للحاجب :لا تدع أحدا يدخل علي إلاّ فلانة.	– أحاجب لا تدع أحدا سواها يوافيني إذا حان المزار.
– فأنظرني إلى غد حتىّ أتهيأ وآتيك.	– ولكني غدا آتيك سعيا إذ انفلق الصباح.
– وانتظرها فلم تجئ.	– ولكن أخلفت وعدا.
– وسألها إنجاز الموعد.	– فقال لها الرشيد علام وعد، وإخلاف وتسويف وعار.
– فقالت :يا أمير المؤمنين، كلام الليل يمحوه النّهار.	– فقالت إنه ليل وعندي كلام الليل يمحوه

	النهار.
– استدعى من بالباب من الشّعراء.	– أحاجب مَن مِنَ الشّعرا ببابي.
– فدخل عليه أبو نواس والرقاشي وأبو مصعب.	– فقال أبو نواس والرقاشي ومصعب حيث يحلو الاختيار.
– كأنك كنت معنا أو مطلعا علينا.	
– وأمر لكلّ بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم.	– أخادم صلهم خمسا مئينا.
– [وأمر] لأبي نواس بعشرة آلاف درهم.	– وأضعف للنواسيّ العطايا.

ورغم محافظة الشّاعر على أغلب تفاصيل الخبر وإيراده لجميع الأبيات التي تضمّنها فإنّه مهّد للقصّة بمقاطعَ وصفيّةٍ صرف بعضها لوصف الجارية وصفا تقليديّا وصرف بعضها الآخر لوصف حال الخليفة العاشق قبل لحظة اللّقاء فقال [من الوافر] :

لقـد أرق الرّشيـدُ بجنـح ليلٍ تهيمنه الجـّواري لا الجوارِ
فقامَ يطــوُف في تلكَ المجالي خُطًى في القصر تائهةٌ قصـارِ
يروض علـى الرّياض هوى صبيّا تهاويــه الأســـرة فالسّـرارِ
إلى خدر كأنّ الشّمـــسَ فيــه يعاقرها الـــدَّلالُ ولا عقارِ[46]

وقد يكون لهذا التّمهيد وظيفتان: وظيفة فنيّة تحقق ما سمّاه محمّد بن عيّاد أدبيّة المدخل الحكائي،[47] ووظيفة تبريريّة يدرك من ورائها القارئ الأسباب التي دفعت الخليفة الرّشيد إلى فعل ما فعل. ومهما يكن من أمر هذه المقاطع، فإنّنا نؤكد مرّة أخرى أنّ الشّاعر في نسجه لقصصه الشّعريّة لا يكتفي بسرد الأفعال. بل يضيف إليها حكاية الأحوال ووصف المحبوب إضافة تكشف عن جدل لطيف بين الشّعريّ والسّرديّ.

ج - النّص الثّالث: المأمون والجارية

قصيدة على بحر المجتثّ، تتألّف من ستّة مقاطعَ. عدد أبياتها أربعة وخمسون. وهي بناء على الخبر التّالي" وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بن الأنبارى، قَالَ: حَدَّثَنِي أبي، قَالَ: حَدَّثَنِي عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن الورّاق، قَالَ: حَدَّثَنَا المفضل بن حازم، قَالَ: حَدَّثَنَا منصور البرمكي، قَالَ: كان لهارون الرّشيد جارية غلاميّة يعني وصيفة عَلَى قدّ الغلام، وكان المأمون يميل إليها وهو إذ ذاك أمرد، فوقفت يوما تصبّ عَلَى يد الرّشيد من إبريق معها، والمأمون جالس خلف الرّشيد، فأشار المأمون إليها كأنه يقبّلها، فأنكرت ذلك بعينيها، وأبطأت فِي الصبّ عَلَى مقدار نظرها إِلَى المأمون وإشارتها إليه، فقَالَ الرّشيد: ما هذا! ضعي الإبريق من يدك، ففعلت، فقَالَ: والله لئن لم تصدقيني لأقتلنّك، فقَالَت: يا سيدي، أشار إليَّ عبد الله كأنّه يقبّلني فأنكرت ذلك، فالتفت إِلَى المأمون. ونظر إليه كأنه ميّت لما دخله من الجزع والخجل، فرحمه وضمّه إليه وقَالَ: يا عبد الله، أتحبّها؟ قَالَ: نعم يا أمير المؤمنين، قَالَ: هي لك، قم فادخل فِي تلك القبة، ففعل، ثم قَالَ: هل قلت فِي هذا الأمر شعرا؟ قَالَ: نعم يا سيدي، ثم أنشد[من المجتثّ]

ظبيٌ كنَيتُ بِطَرفي عن الضَّميرِ إليهِ

قبّلتُهُ مِن بَعيـدٍ فاعتَلَّ مِن شفَتَيهِ
وردّ أحسـنَ ردّ بالكَسر من حاجبيهِ
فَمَا برحتُ مكاني حَتّى قدرتُ عـليهِ[48]

يبدو من خلال المقارنة بين النّصّ التّراثيّ ونصّ الخليلي أنّ الشّاعر كان وفيّا لأبرز التّفاصيل التي وردت في الخبر. وهو ما يجلّيه بوضوح الجدول التّالي:

النّصّ المهاجر	النّصّ المهاجر إليه
- كان لهارون الرشيد جارية غلاميّة(...) وكان المأمون يميل إليها.	– سطا الغرام عليه (لا يملك السمع فيها منه ولا ناظريه).
- فوقفت يوما تصبّ عَلَى يد الرشيد من إبريق معها.	– إذ كان عند أبيه في حال غسل يديه.
- فأشار المأمون إليها كأنه يقبلّها.	– قبـــلّته من بعيد.
- وأبطأت في الصبّ عَلَى مقدار نظرها إِلَى المأمون.	– قامت تصبّ عليه فأغفلت راحتيه.
- فقَالَ الرشيد: ما هذا!	– فقال: مالك؟
- فقَالَت: يا سيدي، أشار إِلَيَّ عبد الله كأنه يقبلني.	– أوما إليّ سرارا فلم أطق لحظتيه.
- ونظر إليه كأنه ميّت لما دخله من الجزع والخجل.	– وخرّ مغمىً عليه والدّمع في وجنتيه
- وقَالَ: يا عبد الله، أتحبها؟	– وقال هل لك فيها.
- قَالَ: نعم يا أمير المؤمنين.	– فقال إيه وويه.
- قَالَ: هي لك،	– فقال خذها حلالا
- قم فادخل فِي تلك القبة ففعل.	– وأغلق الباب جهرا.

ورغم محافظة الخليلي على مكونات النّصّ السّرديّ جميعها، فإنّه على عادته في افتتاح قصائده عن مغامرات الخلفاء، صوّر المأمون وقد استبّد به العشق استبدادا. ثمّ ضمّن الأبيات التي قالها المأمون في وصف هذه الحادثة. " ويمثّل القول الشّعريّ ترسيخا لحضور العاشق وتمكينا له في مخيّلة المتلقي ودليلا على مواجهته له من خلال حرقة القول" [49] .

نستخلص ممّا تقدّم في القسم الثّاني من عملنا، أنّ الشّاعر عبد الله بن علي الخليلي عاد إلى أخبار بعض الخلفاء العباسيّن. وانتقى منها ما استقرّ في كتب الأدب حول مغامراتهم في العشق لينشئ نصّا شعريّا قصصّيا يمتح من التّراث ولا يقف عنده. فهو من جهة يحافظ على النّصّ السّرديّ ولا يفقده قيمته الإخبارية. وهو من جهة ثانية يتوسّع في ذلك النّصّ بالوصف حتّى لا تفقد القصيدة شعريتها. وهو ما سنوضّحه بأمثلة في القسم الأخير من هذه الدّراسة.

3 - "الاستعانة" سبيلا إلى محاورة الشّعر القديم

نحاول في القسم الأخير من هذا العمل أن نبحث في الآلية التي حاور بها عبد الله بن عليّ الخليلي النّصّ الشّعريّ القديم، إذ القصائد الّتي درسناها هي في النّهاية بناء على الأبيات الشّعريّة التي تضمّنتها أخبار الخلفاء. وهذا البناء قد

اعتمد أسلوب التّضمين وجعله الوسيلة الأساسيّة التي يحاور بها النّصّ السّرديّ والشّعريّ على حدّ سواء. والتّضمين هو" أن يضمّن الشّاعر شيئا من شعر الغير مع التّنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء".[50] والتّضمين عند البلاغيّن قسمان قسم يطلق عليه "الإيداع "أو" الرّفو" إن كان المأخوذ مصراعا فما دونه. وقسم يطلق عليه" الاستعانة" إن كان المأخوذ من شعر الغير بيتا أو أكثر.[51]

ونجد الخليلي في القصائد الثّلاث التي انتخبناها قد وظّف "الاستعانة" من خلال استدعاء كلّ الأبيات الشّعريّة التي تخلّلت الأخبار التي وقفنا عندها في القسم السّابق. وكانت سبعة أبيات في قصيدة " الخيزران والرّشيد"، وعشرة أبيات في قصيدة " من ملح الرّشيد " وأربعة أبيات في قصيدة " الجارية والمأمون".

وقد لا يعزب عن أذهاننا أنّ الأبيات المضمّنة ممّا اشتهر في تاريخ الشّعر العربيّ القديم، وأنّ القصص التي ارتبطت بها ممّا اشتهر أيضا في كتب الأخبار "ولا يخفى أنّ حسن التّضمين بأن يكون المتضّمن مما تميل إليه الطّباع، وتألفه وتتأنّس به، إمّا لشهرته واشتماله على مزايا بديعة، وكون صاحبه ممن يعتدّ بكلامه، ويشتهى سماع مقاله".[52]

والحقيقة أنّ "الاستعانة" كانت النّواة الأساسيّة لبناء القصّة الشّعريّة في ديوان "وحي العبقريّة". فمنها تبدأ القصيدة وإليها تعود. ذلك أنّ النّصّ "التّضميني يظلّ "دخيلا ثقافيّا تزيينيّا، ويظلّ المقطع التّضمينيّ أو الاقتباس هو الذي يتكلّم في النّصّ الجديد وهو الذي يشرح ويفسّر.[53]

ورغم أنّ الخليلي قد توسّل بأسلوب شائع في محاورة التّراث، فإنّ نصّه لم يحرم من أوجه طرافة عديدة لعلّ أبرزها يتجلّى في مظهرين اثنيْن: أوّلهما كميّ وثانيهما نوعيّ. ونقصد بالكمي أنّ الخليلي قد اعتمد في تضمينه أخبارا موجزة وأبياتا قليلة العدد، فأخرج مطولات شعريّة. وإذا سلّمنا بأنّ "تضمين الشّاعر لشعر غيره، وإدراجه في شعره، ليس بالأمر السّهل، فهو يستدعي مقدرة وموهبة خاصتين" [54]، قلنا إنّ الشّاعر حاز حظّا من المقدرة والموهبة تجلّت في الإطالة وإن لم تخل بعض الأبيات من الوقوع في النّثريّة، إذ ليس من اليسير في نظرنا أن يبني الشّاعر قصائد طويلة يلتزم فيها بالبحور الشّعريّة وتفاصيل النّصوص الإخباريّة التي توسّل بها لمحاكاة التّراث ومحاورته.

وإذا تجاوزنا المظهر الكميَّ إلى المظهر النّوعي استوقفتنا ظاهرة طريفة. ونعني بها ظاهرة الوصف ولا سيّما في الاستهلال. ذلك أنّ الخليلي وإن كتب القصّة الشّعريّة ولم يفرّط في تفاصيل أحداثها فإنّه أنزل الوصف منزلة كبرى ضمن أنماط القصّ التي اعتمدها. ولعلّه بالوصف استطاع أن يطيل مدى القصيدة واستطاع أن يقترب إلى حدّ من جودة النّصوص التي ضمّنها.

يقول الشّاعر في فاتحة قصيدته " من ملح الرّشيد" [من الوافر] :

أحَورٌ في يراعــك أم حوار وسورٌ فوق طِرسك أم سِوارُ
وعينٌ من بنات العين ترمي كِيانــك، أم غريرٌ أم غــرارُ
وخدّ كالمروج الخُضر يزهو بــه نورٌ وريحانٌ ونـــارُ
وقدّ كالقضــيبِ إذا تثنّى عليــه نــورةٌ وبه نــوارُ

وفرعٍ كالدّجنــةِ فيه وجهٌ يُنير على الوُجودِ ولا يُنار[55]

لا يخفى ما في هذا الاستهلال الوصفيّ من صنعة شعريّة قصد إليها الخليلي قصدا من خلال تكثيف مولّدات الإيقاع (الجناس والتّكرار والتّشقيق) التي تطرب الأذن وتشجي السّامع. ولا يخفى أيضا حرصه على التّشبيه والتّمثيل (كثافة الصّور التّشبيهيّة) حتّى يخرج الموصوف آية في الجمال غاية في الكمال. ولا تبدو وظيفة الوصف في نظرنا مجرّد وظيفة تزيينيّة جماليّة، وإنما هي خاصيّة تبريريّة، أي أنها تمثّل تبريرا سرديّا لِحدث مراودة الخليفة لجاريته. ومن ثمّ يمكن القول "إنّ الشّاعر إذ يصف ما يصف، فهو، في الغالب ليس همّه الوصف، كما قد يظنّ، وإنّما أمور أخرى ماثلة في خلفيّة الخطاب الوصفيّ بصورة لطيفة غائمة "[56]

ولم يقتصر الوصف على الجسد، بل تعداه إلى وصف الأحوال. يقول الخليلي في مطلع قصيدته " المأمون والجارية " [من المجتثّ] :

سطَــا الغرامُ عليْهِ فاستلّه ما لديهِ
وبــات يعبث حينًا به ويسطو عليهِ
وراح يخــلق منـه حالا تعـودُ إليهِ
لا يملك السّمعَ فيها منه ولا ناظريهِ[57]

جاء الافتتاح منبئا بالوجد الذي يكابده الخليفة وبالصّبابة التي يعانيها. وصورة العاشق هذه هي جوهر الخبر الذي استرفده الخليلي في هذه القصيدة. وعموما حرص الشاعر على إنزال الوصف منزلة مهمة في القصائد وخاصة في الاستهلال. فدل ذلك في ما دلّ على أنّ الوصف في هذه القصائد كان وظيفيّا"، وخاصّة إذا نظرنا إلى الخبر من حيث هو التقاط دقيق للحدث الفذّ والقول الطّريف"[58]

الخاتمة

حاولنا في عملنا الموسوم "حكايات الخلفاء العبّاسيّين في الشّعر القصصي العماني: ديوان الخليلي " وحي العبقريّة " نموذجا" أن نقف على توظيف التّراث السّردي في تجربة شعريّة حاورت نصوصا سرديّة قديمة. وخصّصنا لذلك ثلاثة محاورَ تعلّقت بالاسم العلم وبتشعير الأخبار وبمحاورة النّصّ الشّعريّ القديم. فتبيّن في المحور الأوّل، أنّ الاسم العلم قد كشف عن موقف الخليلي من الخليفتين الرّشيد والمأمون. وهو "موقف سلبيّ " حكت عنه بعض مصنّفات الأدب القديمة. واتّضح في المحور الثّاني أنّ الشاعر أعاد تشكيل السّرد بما تقتضيه خصوصيّة الشّعر وجعل للوصف سلطانا رغم أنّه يكتب شعرا قصصيّا وربط بين مختلف أنماط الخطاب ربطا لا نشاز فيه. وتجلّت في القسم الثّالث شاعريّة الخليلي وهو يبني نصّا على نصّ شعريّ حكائي فيه من لذّة القصّ بقدر ما فيه من لذّة الشّعر.

الهوامش

[1] - حول منزلة الشّاعر في الأدب العماني انظر سعيد الصّقلاوي، الشّيخ عبد الله بن علي الخليلي كلاسيكيّة متجدّدة، الكويت، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، 2015.[59]

[2] - عبد الله بن علي الخليلي، ديوان الخليلي: وحي العبقريّة، سلطنة عمان، وزارة التّراث والثّقافة، ط.3، 2017، ص. ص 438- 498.

[3]- عبد الله الخليلي، الموسوعة الشّعريّة لأمير البيان الشّيخ عبد الله الخليلي، تحقيق سعيد بن سالم النّعماني، سلطنة عمان، أنجال المؤلّف، ط.1، 2018. ص. ص. 59- 67.

[4] - محمّد بن مسلم المهري، تطوّر الشّعر العماني المعاصر في النّصف الثّاني للقرن العشرين، سلطنة عمان، دار الفرقد، ط.1، 2010. ص. 361.

[5] - المصدر نفسه، ص. ص.354- 371.

[6] - المصدر نفسه، ص. 368.

7- **عبد القادر بقشي ، التّناص في الخطاب النّقدي والبلاغي دراسة نظريّة وتطبيقيّة ، المغرب ، أفريقيا الشرق ، 2007، ص .12.**

[8] -حول الاسم العلم انظر زكيّة السّائح دحماني، الأسمائيّة في اللّسانيات الحديثة بين النّظريّة والتّطبيق، تونس، الدّار التّونسية للكتاب، ط.1. 2019. ونهتدي في نظرنا إلى الاسم العلم بالتّحديد الذي ضبطته في قولها: " ويكون علم الشّخص اسما لإنسان متحوّلا من وحدة معجميّة عامة، دالاّ على الاسم واللّقب أو الكنية" ص.26. وانظر سليم الشّريطي، دور الاسم العلم في إنشائيّة الشّعر العربي القديم من الأصول إلى نهاية القرن الثّالث للهجرة (بحث لنيل شهادة الدّكتورا في اللّغة العربية وآدابها)، جامعة منّوبة، كليّة الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، السّنة الجامعيّة 2015- 2016.

[9] - أصيل الشّابي، الخطاب القصصيّ في "مصارع العشّاق " للسّراج البغدادي [417 – 500 هـ]، تونس، الدّار التّونسيّة للكتاب، ط.1، 2021، ص.375.

[10] - محمّد الهادي الطّرابلسي، توظيف الاسم العلم في النّصّ الشّعريّ، حوليات الجامعة التّونسيّة، ع.45، 2001. ص .27.

[11] - ابن الطّقطقي، الفخري في الآداب السّلطانيّة والدّول الإسلاميّة، بيروت، دار صادر، د.ت، ص.191.

[12] - الطّبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار التّراث، 1967، ج.8، ص. ص. 206- 207.

[13]- المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، اختار النّصوص وقدّم لها وعلّق عليها قاسم وهب، سوريا، منشورات وزارة الثّقافة،1989، ج.3، ص. 327.

[14]- الذّهبي، سير أعلام النّبلاء، تحقيق: حسين أسد وآخرون، مؤسسة الرّسالة، ط.3، 1985، ج.9، ص.287.

[15] - ابن كثيّر، البداية والنّهاية، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1985، ج. 10، ص.220.

[16] - أحمد أمين، هارون الرّشيد، مصر، مؤسسة هنداوي، 2014، ص.117.

[17]- ابن منظور، أخبار أبي نواس: تاريخه نوادره، شعره، مجونه، مصر، مكتبة الاعتماد، 1924، ص.2.

[18]- ابن المعتز، طبقات الشّعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط.3، مصر، دار المعارف، د.ت، ص. 266.

[19]- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، بيروت، إعداد دار إحياء التّراث العربي، ط.1، 1994، ج.16، ص.432.

[20]- صلاح الدّين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، بيروت، إعداد دار إحياء التّراث العربي، ج.2، ص.164.

[21]- خير الدّين الزّركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1989، ج.7، ص. 247.

[22] - عبد الله بن علي الخليلي، ديوان الخليلي: وحي العبقريّة، ص.455.

[23]- الرّاغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء، بيروت، إعداد دار إحياء التّراث العربي، ط.1، 1988، ج.1، ص.817.

[24] - أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج.10، ص.44.

59

[25] - المصدر نفسه، ج.10، ص.47.

[26]- أحمد أمين، هارون الرّشيد، ص. 109.

[27] - عبد الله بن علي الخليلي، ديوان الخليلي: وحي العبقريّة، ص.472.

[28] - المصدر نفسه، ص. ص. 462.

[29] - المصدر نفسه، ص.463.

[30] - محمد الهادي الطّرابلسي، توظيف الاسم العلم في النّص الشّعريّ، حوليات الجامعة التّونسيّة، ع.45، 2001. ص. ص 26- 27.

[31] - سليم الشّريطي، دور الاسم العلم في إنشائيّة الشّعر العربيّ القديم من الأصول إلى نهاية القرن الثّالث للهجرة، ص.163.

32- عبد الله بن علي الخليلي، ديوان الخليلي: وحي العبقريّة، ص.478.

[33] – محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشّوقيات، تونس ، الجامعة التونسيّة، 1981، ص.394.

[34] – عبد الله الخليلي، ديوان الخليلي، ص.462.

[35]- محمد الهادي الطّرابلسي، خصائص الأسلوب في الشّوقيات، ص.384.

[36] - المرجع نفسه، ص.394.

[37] - المرجع نفسه، ص.370.

38- نقتدي في استعمال هذا المصلح بفتحي النّصري. فهو قد استعمل هذا اللّفظ مقابلا للّفظ الفرنسيّ poètisation يفيد جعل الشّيء شعريّا. فتحي النصري، تشعير الحكاية في القصيدة السّردية سعدي يوسف أنموذجا، حوليات الجامعة التّونسيّة، ع.44، 2000، ص.139

[39] - ابن رشيق، العمدة، تحقيق النّبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة، مكتبة.الخانجي، ط،1، 2000، ص. 719

[40]-. فتحي النصري، تشعير الحكاية في القصيدة السّرديّة سعدي يوسف أنموذجا، ص.143.

[41] - لا يحتاج الوقوف على مظاهر الخرق جهدا كبيرا. ونحن نذهب إلى ما ذهب إليه فتحي النّصري في قوله: " إنّ تبيّن مظاهر الخرق الذي يستهدف الحكاية في القصيدة السّرديّة كان يكون أيسر لو أنّ الأمر يتعلّق بنظم حكايات مقتبسة من مدوّنة سردية سابقة. إذّاك يتسنّ تبيّن التحوّلات الطارئة على الحكاية بواسطة المقارنة بين شكل وجودها في النثر السرديّ وشكل وجودها في الشّعر"، فتحي النصري، تشعير الحكاية في القصيدة السّرديّة سعدي يوسف أنموذجا، ص. 144.

[42] -. حلّل توفيق بكّار هذه القصيدة في مقال عنوانه " جدلية الاحتجاب والانكشاف". وعن عنوان" المغتسلة" كتب يقول "يعرف هذا النّصّ في الكتب المدرسيّة باسم "المغتسلة. وليس هذا الاسم جزءا أصيلا من القصيدة وإنّما هو عنوان وضعه لها –اجتهادا –بعض "المنتقين" فحدّ لضيق الفهم أو الأخلاق من آفاق معانيها". مجلّة الحياة الثّقافيّة، ع. 21، 1981

[43]-. محمد إياب الإتليدي إعلام النّاس في ما وقع للبرامكة مع بني العبّاس، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز سالم، بيروت ، دار الكتب العلمية، ط.1، 2004، ص.107

[44] - المرجع نفسه، ص.107.

[45] - عبد الله بن علي الخليلي، ديوان الخليلي: وحي العبقريّة، ص439.

[46] - محمد إياب الإتليدي، إعلام النّاس في ما وقع للبرامكة مع بني العبّاس، ص.107

[47] - محمد بن عيّاد، جدليّة القصّة والشّعر: ديوان عمر بن أبي ربيعة أنموذجا، تونس، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس، مخبر البحث في المناهج التّأويليّة، 2022، ص .49.

[48] - القالي، الأمالي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978، ج.1، ص.229.

[49] - أصيل الشّابي، الخطاب القصصيّ في "مصارع العشّاق"، ص. 376.

50- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق. بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، ط،4 بيروت، 1995

[51] – المصدر نفسه، ص.384.

52- الإسفراييني، الأطول، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، د ت، .2/514

[53] -. خليل الموسى، التناص والأجناسيّة في النّصّ الشّعري، مجلّة الموقف الأدبي، دمشق، ع. 205، أيلول1996، ص.83

54- ڤهلوز، عبد القادر: التّضمين الشّعري: مفهومه، شروطه، طرقه،مراتبه، وجماليته. مجلّة المدوّنة، م.8، ع.2، جوان،2021، ص . 1893.

[55] - عبد الله بن علي الخليلي ،.ديوان الخليلي ، وحي العبقرية ، ص 455.

[56] - مبروك المنّاعي، في إنشائيّة الشّعر العربي: مقاربات وقراءات، تونس، مجمع الأطرش، 2024، ص .226 .

[57]- عبد الله بن علي الخليلي، ديوان الخليلي: وحي العبقريّة، ص.456.

[58] - محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي: دراسة في السّردية العربيّة، تونس: منشورات كلية الآداب منوبة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1998. ص. ص. 406- 407.

مصادر البحث ومراجعه

(مرتبة ترتيبا ألفبائيّا دون اعتبار ابن وأبو)

المصادر

- الخليلي، عبد الله بن علي: ديوان الخليلي: وحي العبقرية، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة، ط.3، 2017.

المراجع

الكتب

- الإتليدي، محمد إيّاب: إعلام النّاس فيما وقع للبرامكة مع بني العبّاس، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز سالم، بيروت، ط.1، 2004.
- الإسفراييني، عصام الدّين إبراهيم: الأطول، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت،2021.
- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، بيروت، إعداد دار إحياء التّراث العربي، ط.1، 1994.
- بقشي، عبد القادر: التّناص في الخطاب النّقدي والبلاغي دراسة نظريّة وتطبيقيّة، المغرب، أفريقيا الشّرق، 2007.
- الرّاغب الأصفهاني، الحسين بن المفضل: محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء، بيروت، إعداد دار إحياء التّراث العربي، ط.1، 1988.
- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة، تحقيق النّبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط،1، 2000.
- أمين، أحمد: هارون الرّشيد، مصر، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، 2014.
- الجرجاني، محمد بن علي: الإشارات والتّنبيهات، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، مصر، 1997.
- الخطيب، إبراهيم: نظريّة المنهج الشّكلي: نصوص الشّكلانيين الرّوس، بيروت- الرّباط، مؤسّسة الأبحاث العربيّة- الشّركة المغربيّة للنّاشرين المتّحدين، 1982.
- الخليلي، عبد الله: الموسوعة الشّعريّة لأمير البيان الشّيخ عبد الله الخليلي، تحقيق سعيد بن سالم النّعماني، سلطنة عمان، أنجال المؤلّف، ط.1، 2018.
- دحماني، زكيّة السّائح: الأسمائيّة في اللّسانيات الحديثة بين النّظريّة والتّطبيق، تونس، الدّار التّونسيّة للكتاب، ط.1. 2019.
- الذّهبي، شمس الدّين. سير أعلام النّبلاء، تحقيق: حسين أسد وآخرون، مؤسسة الرّسالة، ط.3، 1985.
- الزركلى، خير الدّين: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1989.
- الشّابي، أصيل: الخطاب القصصيّ في "مصارع العشّاق" للسّراج البغدادي [417 – 500 هـ]، تونس، الدّار التّونسيّة للكتاب، ط.1، 2021.
- الصّفدي، صلاح الدّين: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناووط وتزكي مصطفى، بيروت، إعداد دار إحياء التراث العربي. 2015.
- الصّقلاوي، سعيد: الشّيخ عبد الله بن علي الخليلي كلاسيكيّة متجدّدة، الكويت، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، 2015.
- الطّبري، أبو جعفر محمد: تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار التّراث، 1967.

- الطّرابلسي، محمد الهادي: خصائص الأسلوب في الشّوقيات، تونس، منشورات الجامعة التونسيّة، 1981.
- ابن كثيّر، عماد الدّين: البداية والنّهاية، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1985.
- ابن الطقطقا، محمد بن علي: الفخري في الآداب السّلطانيّة والدّول الإسلاميّة، بيروت، دار صادر، 2021.
- ابن عيّاد، محمد، جدليّة القصّة والشّعر: ديوان عمر بن أبي ربيعة أنموذجا، تونس، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس، مخبر البحث في المناهج التّأويليّة، 2022.
- القاضي، محمد: الخبر في الأدب العربي: دراسة في السّرديّة العربيّة، تونس: منشورات كليّة الآداب منّوبة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1998.
- القالي، أبو علي إسماعيل: الأمالي في لغة العرب، بيروت، دار الكتب العلميّة،1978.
- القزويني، محمد بن عبد الرّحمان : الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق. بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، ط.4، بيروت، 1995.
- المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، اختار النّصوص وقدّم لها وعلّق عليها قاسم وهب، سوريا، منشورات وزارة الثّقافة،1989.
- ابن المعتز، طبقات الشّعراء، تحقيق عبد السّتار أحمد فراج، ط.3، مصر، دار المعارف، د.ت.
- المنّاعي، مبروك: في إنشائيّة الشّعر العربي: مقاربات وقراءات، تونس، مجمع الأطرش، 2024.
- ابن منظور، أخبار أبي نواس: تاريخه نوادره، شعره، مجونه، مصر، مكتبة الاعتماد، 1924
- المهري، محمد بن مسلم: تطوّر الشّعر العماني المعاصر في النّصف الثّاني للقرن العشرين، عمان، دار الفرقد، ط.1، 2010.

الدّوريات

- بكّار، توفيق: جدليّة الانكشاف والاحتجاب، مجلّة الحياة الثّقافيّة، ع. 21، 1981.
- الطّرابلسي، محمد الهادي: توظيف الاسم العلم في النّصّ الشّعريّ، حوليات الجامعة التّونسيّة، ع.45، 2001.
- قهلوز، عبد القادر: التّضمين الشّعري: مفهومه، شروطه، طرقه،مراتبه، وجماليته. مجلّة المدوّنة، م.8، ع.2، جوان،2021.
- الموسى، خليل: التّناص والأجناسيّة في النّصّ الشّعري، مجلّة الموقف الأدبي، دمشق،ع. 205، أيلول1996.
- النّصري، فتحي: تشعير الحكاية في القصيدة السّردية سعدي يوسف أنموذجا، حوليات الجامعة التّونسيّة، ع.44، 2000.

الأطروحات الجامعيّة

- الشّريطي، سليم: دور الاسم العلم في إنشائيّة الشّعر العربي القديم من الأصول إلى نهاية القرن الثّالث للهجرة (بحث لنيل شهادة الدّكتورا في اللّغة العربيّة وآدابها)، جامعة منّوبة، كليّة الآداب والفنون والإنسانيات، السّنة الجامعية 2015- 2016.